الحركة الطورانية الجديدة

في بلاد تركيا (*)

ننقل هذه المقالة عن العدد ١٨ والعدد ١٩ من جريدة القبلة الغراء مع تصحيح بعض الالفاظ — :

قرأنا في جريدة (نيراست) الانكليزية الصادرة في أول ذي القعدة مقالا خطيراً (؟) تحت عنوان الحركة الطورانية الجديدة فترجمناها (؟) الى لغتنا العربية الشريفة ونشرناها على صفحات القبلة لعل فيها عبرة ومزدجرا فان أسرار الاتحاديين والحمد لله قد ذاعت وشاعت حتى أصبحت حديث الشرق والغرب. وان وراءها لأشد منها وأفظع ، وأدهى وأمر ، وسيعلم النازحون عن المملكة العثمانية من حقائق الاتحاديين الطورانيين ما دامه العرب العثمانيون قبل ذلك أعوام فاستعدوا للدفاع عن كيانهم وعن دينهم ، وبعضهم سادرون في غفلاتهم هائمون في أودية الاوهام والاضاليل واليك ترجمة المقال المذكور

ظهرت في تركية حركة جديدة عرّفها القوم باسم (يني طوران) أعني طوران الجديدة وقد نبتت في الاستانة سنة ١٣٣١ ثم أخذت تنتشر في أجزاء كثيرة من السلطنة ، وقد امتازت هذه الحركة بكونها مقصورة على فئة مخصوصة غايتها توحيد القومية التركية بالعنصرية الجنسية دون الروابط الدينية الاسلامية. واليك بيان الغايات التي ترمي اليها في مساعيها وأعمالها :

(أولها) ان تجعل الاتراك أمة قائمة بذاتها مستقلة عن الدين الاسلامي تمام الاستقلال حتى يتهيأ لها أن تربي فيهم ذلك الشعور القومي الذي ذكره الدكتور الفردنونج في مقالة نشرها تحت توقيعه في جريدة (اندرنوخ) الالمانية على أثر حديث

---

*) قد لخص هذه المقالة صاحب المقتطف ناسبا اياها الى أحد أدباء الانكليز وابقى كلمة الطورانية بالتاء

دار بينه و بين زعماء الاتحاديين . (١)

(ثانيها) ترقية الروح العسكري التركي فقط (٢)

(ثالثها) انشاء العلاقات التجارية وغيرها من الصلات بين مسلمي بلاد العجم الشمالية (آذربيجان) و بلاد روسيا في آسيا والاجزاء الجنوبية منها .

(رابعاً) تطهير اللغة التركية من الالفاظ العربية والفارسية ومن آداب هاتين اللغتين .

ولهذه الجمعية التركية مطمع آخر ترمي اليه وان لم تجهر به رسمياً وهو تتريك العرب وإدغامهم في الترك حتى لا تبقى لهم قومية قائمة بذاتها. وأكبر آمال هذه الجمعية ان تجعل التركي العثماني يعد نفسه تركياً قبل كل شيء وأما كونه مسلماً فيعد عنده من المسائل الثانوية التي لا تهمه كثيرا .

أما هذه الجمعية فانها تقوم بتلك الاعمال بايعاز من السلطة الحاكمة التي تؤيدها بكل وسيلة ممكنة وتدفع لها كل ما يلزمها من المال لاجل بلوغ هذه الغاية وهم يسمونها (ترك أوجاغى) أي جمعية الوطن التركي . وهي تقوم الآن بنشر دعوتها والقيام في أعمالها بهمة فائقة . أما الاطفال الترك فان المدارس الطورانية التي شرع في انشائها كفيلة بأن تغرس في نفوسهم تلك الروح التركية الجديدة

وقد بذلوا غاية الجهد في تدريس التاريخ القومي للطورانيين وأفرغوا كل عناية لنشره في المدارس العالية وحضوا الطلاب على التنافس فيه والتهافت عليه، وأخذوا بتأليف قوة كبيرة من فتيانهم سموها بالتركية (ايزجى) أي قافة الاثر . ووضعوها تحت رعاية أنور باشا وهم يدربونها على الفنون العسكرية حتى تكون قادرة على الانضمام للجيش العامل وتفوق غيرها من أبناء العناصر الاخرى كالعرب والاكراد واللاز ونحوهم . ولهذه القوة الصغيرة علامات مخصوصة وشارات معينة وألقاب معروفة وكلها تركية قديمة يرجع تاريخها الى ما قبل العصر الاسلامي . أما الاولاد الذين

(١) عبارة المقتطف : وهذه العبارة هي عبارة الدكتور الفردنوسيج من حديث دار بينه و بين زعماء الاتحادين ونشر في جريدة درتاج الالمانية اه (٢) ترقية الروح العسكرية بين الترك اه م

أسماؤهم مأخوذة من العربية فقد استبدلوا بها ألفاظا تركية محضة بدعوى ان الكشافة تركية خالصة وان أسماءها يجب ان تكون كذلك اقامة للقومية ورعاية للجنسية ، ومن الاسباب التي عملت على ايجاد هذه الحركة أمور علمية ولغوية لان الاتحاديين شرعوا في نقل كتب كثيرة من علمية وتاريخية الى لغتهم فكان لها في نفوسهم تأثير . وقد تفانوا في ذلك حتى عزموا على ترجمة القرآن الكريم الى التركية واستعماله في العبادة بها لا باللسان العربي، ولكن العلماء المسلمين من جميع النحل حتى بعض الترك أنفسهم عارضوا في ذلك أشد معارضة

وقد طبع الاتحاديون كتبا كثيرة لتأييد المبدإ العنصري ومن ذلك الروايات الكثيرة التي وضعوها وأهمها (يني طوران) وهي الرواية التي كتبتها احدى نسائهم المطالبات بحقوق الانتخاب واسمها (خالدة خانم) وقد حبذت فيها تلك الحركة الجنسية ونوهت بمطالب السيدات وحقوقهن ، ولا ريب ان مسئلة المطالبة بحقوق النساء وما يقوم به الاتراك من نشر دعوتهم والحث على العودة الى مدنية طوران من شأنه ان يعيد الى مخيلة الانسان ذكرى ما هو معروف عن الاقوام الطورانية وما كانت عليه من الاحوال الاجتماعية لان استبدادهم بالنساء وما ألحقوه بهن من ضروب القسوة والظلم يفوق ما فعلته جميع شعوب الارض في العصور المظلمة

يقال ان الحركة التركية بدأت بالظهور تحت صور شتى وأسباب مختلفة أولها اللغة التركية ومحاولة كتابتها بما يخالف الاحرف العربية حتى تعذرت قراءتها على كثيرين . على ان هذا الامر لا شأن لنا به على الاطلاق . وهنالك أسلوب آخر أعني به توطيد العلاقات مع مسلمي روسيا والقوقاس دون غيرهم من سائر المسلمين بحجة أن هذه الاقوام ربما كانت من أصل تركي أو ان تتريكها ممكن في الاقل ولكن ذلك لم يتقدم من خطر الاندماج في العرب وخسران قوميتهم مادام للاسلام سلطان على النفوس [1] ولذلك عالجوا أمرهم باحياء اللغة التركية والسعي في استقلالهم عن سواها .

(١) عبارة المقتطف : والا لابتلع العرب الترك العثمانيين في آخر الامر ولو فاز هؤلاء باستخدام الجامعة الاسلامية لبلوغ غاياتهم

أما الباعث الثالث الذي شدد عزائمهم فهو كتاب تلاه[1] الدكتور ناظم المرخص المسئول لجمعية الاتحاد فكان كالجذوة أصابت هشيماً يابساً لانه أوقد في نفوسهم نار الحماسة والحمية . وذلك الكتاب مؤلف تاريخي وضعه الموسيو ليون كوهين بالفرنساوية عن آسيا والاتراك في منغوليا وأصلهم منذ سنة ١٤٠٥ ميلادية، وقد صدر ذلك الكتاب سنة ١٨٩٦ وبما ان الجمعية العلمية الفرنساوية قرظته وخصته بالعناية فقد حلّ عند الاتحاديين مكانا رفيعاً فنقلوه الى التركية بعبارات بالغوا فيها ما استطاعوا ولم يلتفتوا البتة الى صحة بعض الاحكام والآراء المذكورة في الكتاب بل عدوا ذلك أمراً ثانوياً بالنسبة لخطتهم المرسومة . ومن البديهي ان من مقتضيات تلك الحركة استقلال العنصرية التركية دون الاسلام تمام الاستقلال وانفصالها عنه أشد الانفصال، وان ذلك لأمر خطير عند المسلمين وغيرهم من الدول العظمى مثل روسيا وفرنسا وايطاليا وانكلترا لان لهذه الدول عدداً كبيرا من الرعايا المسلمين وذلك مما يجعل لهذا الانقلاب أهمية كبيرة في الشرق والغرب . وهذه الحركة كما يقولون مقصورة على جمعية الاتحاد والترقي ومبنية على نظرات استاذهم المجري فمبري لما علق في ذهنه من المزاعم القديمة البالية من ان الاسلام ينافي الوطنية[2] . ويزعم الاتحاديون أن الاسلام باختلاطه مع التقاليد والمؤثرات العربية والفارسية واليونانية والبيزنطية قد حول الترك الى عنصر شرقي مسلم ليس له مدنية (كلتور) خاصة به، وهم يقولون ان هذه الحقائق تحملهم على الاهتمام بمصيرهم والتفكير في عاقبة أمرهم وزيادة العناية في تمييز الحياة الوطنية التركية عن الاسلام

أما تيار المهاجرة التركية فقد بدأ منذ أوائل عهد النصرانية في آسيا من بلاد الصين والاكسوس . وكانت دياناتهم في ذلك الزمن على افتراض انهم كانوا يدينون بدين خاص مايسمونه اليوم (الشامانزم) أي العبادة الوثنية[3] . وكانت مدنيتهم

(١) أي اطلع عليه وقرأه (٢) عبارة المقتطف : ويقال ان احرار الترك يميلون اليها بوجه خاص بناء على القاعدة التي وضعها فمبري اليهودي المجري المعروف وهي أن «لا وطن في الاسلام» (٣) المقتطف : كانت القبائل التركية تقطن بلاد آسية من حدود الصين الى نهر جيحون (اوكسوس أو موداريا كما يسميه الترك) وكانت دياناتها — ان كان لها ديانة — مايسمى « بالشامانية » أي عبادة قوى الطبيعة بالشعوذة والسحر

مؤلفة من المبادىء البسيطة المعروفة عند القبائل الرحالة المنتشرة في أواسط آسيا كما يقضي بذلك مركزهم الجغرافي وحالتهم الاقتصادية المحيطة بهم. ولم يكن لهم من المزايا غير الصفات الحربية، ولم يكن لهم من الشرف القومي أيضا سوى ما يستعيرونه من شرف الامة التي تستخدمهم بالدراهم للمحاربة في صفوفها، وكانوا يعرفون بالطاعة لكل من أطعمهم وتولى قيادتهم في ساحة القتال. ولا مشاحة ان التركي لم يستطع تجاوز تلك الحدود من تلقاء نفسه. ولم يكن للتركي دين خاص به ولم يعمل شيئا لترقية شؤونه و بلوغ درجة رفيعة من المدنية، ولم يحاول الترك قط أن يمتزجوا ببقية اجناس قومهم، وان كان جنكيز المغولي قد حدث نفسه بهذا الامر وجعله نصب عينيه وأكبر آماله. ولم يكن التركي يقتبس من المدنية الا ما تلجئه الاحوال الضرورية اليه لاحتكاكه بها كرها كما وقع له مع المدنية الصينية فالفارسية فالعربية فالرومية فالالمانية. ولا يقع في وهم أحد أن ما استعاره التركي من مدنيات أولئك الاقوام ولا سيما مدنية الاسلام قد حال دون بلوغه (كلتور) مدنية خاصة به[1] وان التركي لم يظهر في عصر من العصور مقدرة خاصة أو استعدادا طبيعيا لاجل النهوض واظهار مدنية يستقل بها عما كان يقترضه اقتراضا و يقلده تقليدا مضحكا

وفي الحقيقة ان العثمانيين من بين قبائل التركمان أقل الناس لياقة لتمثيل أمة. يدلك على ذلك ان الاناضول عدا ما فيه من قبائل اليوروك والتركمان خال من آثار القبائل التركية الاصلية . لان القومية التركية فيه ليست الا لفظة أوجدتها الاحوال السياسية. وليس الدم التركي فيها سوى قطرة صغيرة في بحار تلك الدماء المتحدرة من الاقوام والشعوب القديمة الراجعة في تاريخها الى ماوراء تأسيس القسطنطينية باجيال كثيرة كاليونان القدماء والفريجيين والغلاطيين والاشوريين والكاريانس والحثيين ، وتلك الدماء هي التي تحركت في اعصاب ذلك المزيج المسمى بالعثماني فاوجدت فيه ميلا للزراعة وحرثة الارض ، ولا سيما العناية بالبحرية في القرن السادس عشر . وقد كان من جملة العوامل التي حفظت وجود الاتراك حتى اليوم بصفة شعب معروف أمران: الدين والطاعة العسكرية. فاذا ذهب الاسلام من تركيا فماذا عسى أن يبقى لها. وقد أجاب عن ذلك أصحاب (قوم جديد) فقالوا انه سيبقى لهم

(١) كذا في القبلة والمراد : دون انشائه مدنية خاصة

اتراك طوران والاسلام بصورة جديدة فيكون دينا وطنيا أهليا. على ان شعب طوران لم تظهر عليه دلائل الابتكار والاختراع فيستطيع قلب الاسلام رأسا على عقب وجعله كما نشأ عنصريته الطورانية وكما يزعم اقطاب القوم الجديد، وكل ما في الأمر ان للطورانيين سبقا في التدمير والتخريب والقتل كما فعل جدهم هولاكو فقد دمر الترع المائية التي كانت في العراق وجعل بقاعه المخصبة مجدبة حتى اليوم. أما الطورانيون العثمانيون فقد نسفوا المدنية البزنطية الزاهرة، ومثلهم جنكيز السفاح الذي ملأ بخارى بغيا وظلما، وقد لا يصدق الناس أن تيمور كان من الفرسان وان جنكيز من أقطاب السياسة.

ولقد أفاض المسيو كوهين في وصف المزايا العسكرية الطورانية ولكنه لم يذكر شيئا عن فظائعها الا ان الدكتور بيسلر أصلح ذلك الخطأ فبين ما كانت تستعمله تلك البطون الطورانية من ضروب القسوة والظلم مع جميع الامم الخاضعة لاحكامهم، وليس للتركي لذة أو اهتمام خاص في الامور الدينية ولذلك لم يبذل شيئا في خدمة الاسلام الذي جد بين يديه فلم يتقدم خطوة ولذلك يستصعب العارفون قدرة (قوم جديد) على جعل الاسلام تركيا محضا

ومما لا ريب فيه ان التركي يخاف العرب اشد خوف ويدأب في استعمال كل الوسائل لجعلهم اتراكا ومحو قوميتهم تقليدا لما فعله شولرويك هولستين مع ولايات الدانمرك التي انضمت لالمانيا ولقد صرح بذلك جلال نوري بك في أحد كتبه فقال «ان البلاد العربية بأسرها ولاسيما العراق واليمن يجب ان تكون تركية في اللغة والجنس وان تكون لغة الدين عندهم تركية أيضا، والاسراع في تتريك البلاد العربية من أهم الامور لحفظ وجودنا لان روحا جديدة بدأت تدب في نفوس العرب ورجال نهضتهم وأخذت تهدد وجودنا السياسي بضربة تقضي علينا قضاء مبرما، فالضرورة والحالة هذه توجب علينا ان نكون على تمام الاهبة والاستعداد لاتقاء هذا الخطر.» وكتب احمد شريف بك في جريدة طنين ما يأتي «يتحدث العرب كثيرا في هذه الايام عن نفسهم وقوميتهم وهم يجهلون اللغة التركية جهلا تاما كأن بلادهم ليست خاضعة للاتراك، فالواجب يقضي على حكومة الباب العالي أن تهتم اهتماما فعليا في جعلهم يفسحون هذه الفسحة وتضطرهم لتعلم اللغة التركية الرسمية. فاذا أهمل الباب العالي ذلك كان كمن يحفر قبره بيديه، واذ بقي العرب على يقظتهم هذه

فلا يبعد ان يهبوا لاسترجاع ملكهم وفي ذلك القضاء على السيادة التركية في آسيا. وهنالك أدلة أخرى عديدة على ان الاتراك يسعون بكل جهدهم للقضاء على أمة شريفة كالامة العربية ومحو أثرها من عالم الوجود ولكن الخلفاء يدافعون عن مبدأ القومية ويؤيدونه، ولا يسمحون بفناء أمة كريمة تريد البقاء ولا سيما اذا كانت أمة أخرى طاغية تريد سحقها. وذلك ما يجعل ميول الخلفاء عربية محضة وهو أمر لا يرتاب فيه أحد من المسلمين المتمتعين بالعيش في ظل انكلترا وفرنسا. فالخلفاء أنصار العرب وهم يسعون لتأييدهم لانهم اصحاب الدين الاسلامي الحنيف ومنهم النبي الاعظم (صلى الله عليه وسلم) وفوق ذلك كله فان هنالك صلة قرابة قوية بين العرب والمسلمين التابعين لحكومة فرنسا في شمال افريقيا. اه

باب المراسلة والمناظرة

﴿ تأثير الصحافة في أخلاق الامة ﴾

سيدي الاستاذ صاحب (المنار)

بمناسبة مقالكم الصريح عن حال المسلمين الاجتماعية ومكان الاغنياء وسائر الطبقات منها ربما جاز لي أن أتعرض بكلمة وجيزة لمسألة حيوية مرتبطة بهذا الموضوع وهي تأثير الصحافة في أخلاق الامة .

بديهي ان الصحافة من الموازين التي تقاس بها درجة الرقي في شعب من الشعوب، كما أنها احدى المكيفات له وأحد عوامل الاصلاح اذا قبض على زمامها من لهم خبرة به . ليس من الصعب على الإنسان اذا فحص حالة الجرائد في قطر من الاقطار أن يقرر حكما تقريبيا عن مبلغ نهضة أهل ذلك القطر وشكل مزاجهم، كذلك ليس من الصعب التنبؤ بمستقبل الحركة الفكرية في أمة ما استنتاجا من مشرب صحافتها التي هي أشبه بمربٍّ ومهذب لها. والدارس لحال الصحافة في وادي النيل لا يتيسر له التفاؤل الحسن عن تقدمنا في الآداب والاخلاق .

عودت الصحافة المصرية الرأي العام على قبول المدح بُزف لمستحقه ولغير مستحقه بغير حساب ، وعودت الجمهور على أن لا يعمل عملا بغير جزاء مادي أو غير مادي أقله المدح سطورا لا تعد ، فأصبحنا وليس بيننا من يعرف مبدأ التضحية ويعمل به